الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

الموضوع:

التناص القرآني في رواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني

إعداد الطالبتين:

- بوكليخة إيمان
- عمران خديجة

إشراف:

أ.د. واسيني بن عبد الله

لجنة المناقشة		
أ.د. لطفي عبد الكريم	جامعة تلمسان	رئيسا
د. نجاة بلعباس	جامعة تلمسان	مناقشا
أ.د. واسيني بن عبد الله	جامعة تلمسان	مشرفا مقررا

العام الجامعي: 1445-1446 هـ/ 2024 – 2025 م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا، والقائل في محكم تنزيله:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ "سورة إبراهيم، الآية 07"

له النعمة وله الشكر وله الثناء الحسن مخلصين له الدين

كما نتوجه بالشكر الجزيل والخالص والتقدير للدكتور المشرف "واسيني بن عبد الله" على المجهودات التي بذلها معنا والتوجيهات القيمة التي كانت خير معين لنا للسير قدما نحو الأفضل في البحث.



إلى الإنسان الذي علّمني كيف يكون الصّبر طريقا للنجاح والدي العزيز

"بوكليخة حبيب"

وإلى من رضاها غايتي وطُموحي ... فأعطتنا الكثير ولم تنتظر الشكر والدتي

"بوكليخة غنية"

وإلى زوجي العزيز الذي كان لي سندا طوال إنجاز مذكرتي "بوساحة بوبكر"

وإلى كل الأصدقاء ورفقاء الدرب.

بوكليخة إيمان



إلى والديّ العزيزين، أمدّ الله في عمرهما، وأجزل لهما الأجر على ما قدماه لي من دعم لا يقدر وتشجيع لا ينضب.

إلى "والدتي الحبيبة" التي لم تبخل بوقتها وجهدها وكانت خير معين لي في رعاية أبنائي لانشغالي بالدراسة فكان لها الفضل بعد الله في إتمام هذا المشوار.

وإلى "زوجي الفاضل"، الذي كان خير معين، فله كل الشكر على صبره وتشجيعه المتواصل.

وأبنائي الأحبة الذين منحوني الأمل والدافع للاستمرار، أرجو أن يكون هذا العمل باعث فخر لهم في المستقبل.

عمران خديجة

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على الهادي الأمين وبعد: فإنّ القرآن نور يهدي به الله من يشاء من عباده، وهو كتاب عظيم يضم بين دفتيه الهداية والرحمة.

عرفت الساحة النقدية ظهور عديد من المصطلحات النقدية التي اهتم بها بعض الباحثين والدارسين، ومن أبرزها مصطلح "التناص" الذي يعتبر مصطلحا قديما، ارتبط بالشعر والادب عموما، ومن بعض الذين استعملوا هذا المصطلح "جوليا كرستيفا" في كتابها "علم النص".

ومن هذا كانت دراستنا الموسومة "**التناص القرآني في رواية عائد إلى حيفا لغسان كنفاني**" لكونه ظاهرة نقدية بما أننا ندرس دراسة نقدية معاصرة.

1. الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة التناص في رواية "عائد إلى حيفا" فقد ظهر عند بعض النقاد العرب والنقاد الغرب فقد أنجزت الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه موضوع التناص الديني بصفة عامة، ولكننا نرجو أن نُقدّم جديدا نافعا من خلال الدراسة التطبيقية، وكان عنوان دراستنا التناص القرآني في رواية "عائد إلى حيفا" لغسان الكنفاني.

2. أسباب اختيار موضوع:

فجاء اختيارنا لهذا الموضوع الواسع، استخراج عبارات قرآنية من الرواية والمفردات القرآنية ومعاني القرآنية وهذا يزيدنا فخر للجوء إلى القرآن الكريم، وبما أنّ دراستنا تحمل طابعا تطبيقيا فقد اخترنا رواية "عائد إلى حيفا" لغسان الكنفاني كونه روائي فلسطينيا ذا قومية عربية.

3. الإشكالية:

ومن خلال بحثنا هذا سنحاول رصد ظاهرة التناص القرآني في رواية "عائد من حيفا" وسنحاول الإجابة عن التساؤلات التالية:

كيف وظف غسان كنفاني النص القرآني في روايته؟

4. الصعوبات:

لا يوجد بحث علمي بدون صعوبات:

* صعوبة استخراج المفردات والمعاني القرآنية من الرواية
* ضيق الوقت المحدد للبحث في موضوع الذي يتطلب جهدا فكريا وعلميا.
* اتساع موضوع البحث وتعدد مناهجه.

5. المنهج المتبع: ولقد اتبعنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي بمساعدة أداة التحليل.

6. من أهم المصادر والمراجع:

ومن أهم المصادر التي اعتمدناها في هذه المذكرة هو مصدر القرآن الكريم، والرواية لغسان الكنفاني "عائد إلى حيفا". ومن بين المصادر العربية المعاجم من بينهم معجم العين ومعجم لسان العرب، أما المصادر الغربية كُتب مترجمة لـــ"جوليا كريستيفا" هو "علم النص" ترجمة فريد الزاهي.

7. الدراسات السابقة:

من الدراسات التي اعتمدنا عليها في إنجاز بحثنا:

* رسالة ماجستير، جماليات التناص القرآني في ديوان القدس لتميم البرغوثي، سنة 2020-2021، من إعداد الطالبتين لوحيشي عفاف ورقدي سارة، أمام المشرف الدكتور واسيني بن عبد الله بجامعة الإسلامية غزة.
* رسالة ماجستير، تمظهرات التناص وجمالياته في قصيدة الحمامة والعنكبوت لتميم البرغوثي، من إعداد الطالبتين ناير مباركة ودراجي صباح، الأستاذ المشرف "لعربي عواج" سنة 2020- 2021 جامعة البويرة.

8. هيكل الدراسة:

سيق البحث على التنظيم الآتي: مقدمة، تمهيد وفصلين وخاتمة بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

فجاء الفصل الأول بعنوان: ماهية التناص ويحتوي على أربع مباحث وهي: النشأة والتطور، المصطلحات القريبة منه، أنواع التناص ثم أهداف التناص.

وجاء في الفصل الثاني بعنوان: التناص القرآني في رواية "عائد من حيفا" لغسان الكنفاني، حيث تناولنا فيه أربع مباحث وهي التناص: بالمفردات القرآنية، بالعبارات القرآنية، بالقصص القرآنية وبالمعنى القرآني.

وتوصلنا في بحثنا إلى خاتمة ملمة بأهم نتائج البحث، في المجالين النظري والتطبيقي.

وفي الختام نشكر المولى عز وجلّ على توفيقنا في إنجاز هذه المذكرة، والشكر الوافر لأستاذنا الكريم الدكتور "واسيني بن عبد الله" الذي كان لنا سند طوال إنجاز هذه المذكرة. وأشكر كل من أمدنا يد المساعدة من أساتذة وزملاء الدفعة.

أودّ أن نتقدّم بالشكر الجزيل إلى لجنة المناقشة الموقّرة على تفضّلهم بمناقشة هذه المذكرة وتقييمها، ونتمنى أن نكون قد استطعنا أن نقدّم عملا يليق باهتمامكم واهتمام أساتذتي الكرام.

بوكليخة إيمان

عمران خديجة

تلمسان يوم: 20 ماي 2025م

الموافق لــ: 21 ذو القعدة 1446ه.

المدخل:

أوّلا- ضبط مفهوم الرواية:

تعد الرواية لها مفاهيم ومعاني مختلفة ومتنوّعة فهي لفظة مُشتقّة من كلمة "روى".

أ. لغة:

إنّ الأصل في مادة (روى) في اللغة العربية هو جريان الماء، أو وجوده بغزارة أو ظهوره، تحت أي شكل من الأشكال أو نقله من حال إلى أخرى، وأطلقوا على البحيرة الرواية أيضا[1] لأنه كان ينقل الماء فهو ذو علاقة بالماء، كما أطلقوا على الشخص الذي يسقي الماء أيضا بالرواية.

ب.اصطلاحا:

تعرف الرواية بشيء من الصعوبة لأنها تختص بقدر كبير من الجدية من حيث الصياغة والموضوع، ومع ذلك فإنّ الرواية نوع من القصص يتفاوت في الطول ويكتب نثرا[2]. واستخدمت كلمة رواية أول مرة في إنجلترا في القرن 16 عندما عرفت فيها القصة الإيطالية كما تعرف الرواية بأنها شكل أدبي ونوع سردي نثري يتميّز عن الأنواع القصصية الأخرى بقالب فني خاص ظهرت في فترة تاريخية معينة، ولقد عبّد لها الطريق الكثير من الكتّاب بتجاربهم ومحاولاتهم الفنية الأصلية.

ثانيا- نشأة الرواية عند العرب والغرب:

نشأت الرواية في العرب والغرب.

أ-نشأة الرواية عند الغرب:

كان هناك اختلاف في زمن ظهورها وهناك بعض الباحثين أدرجوا فيها الروايات اليونانية القديمة ويرجعونها إلى الإغريقيين، وبعضهم يجعل للرواية بدايتين «الأولى للرواية اليونانية القديمة في

[1] – عبد المالك مرتاض، نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، دار النشر والتوزيع، 1997، ص 28- 29.

[2] – عمار بن زايد، الرواية العربية الجزائرية عند النقاد الاتجاه الواقعي، 2001- 2002، ص 29- 30.

القرنين الأول والثاني، والأخرى للرواية الحديثة في القرن السادس عشر»[1]. فكانت الرواية في أوروبا جنسا أدبيا مهمشا ومنحطا لارتباطه باللّهو والغرام والفكاهة، ويظهر الروائي "صاموئيل ريتشاردس" عام 1740 في رواية "تاميلا" وهي رواية نفسية كتبت على كل رسائل تناول فيها الحياة العاطفية، أما رواية "كلارنيتا" فاقت سابقتها.

ب- نشأة الرواية عند العرب:

نشأة الرواية العربية مع بدء التغلغل الاستعماري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لذا كانت الوسيلة المهمة لنقل الثقافة الأوروبية إلى الثقافة العربية[2]، فالدارسين لهذا الوضع قد تواضعوا على افتراض أنه مستحدث في أدبنا نقلناه نقلا عن الآداب الغربية، وفي مصطلح حركتنا الفكرية عن طريق الترجمة والاقتباس، ثم المحاكاة والتقليد.

إنّ الرواية العربية جنس أدبي جديد، وشكل له تقنياته الحديثة غربية الأصل، لكونها الفن الأكثر استيعابا للتجارب والتقنيات الغربية الحديثة.

رابعا- عناصر بناء الرواية:

للرواية عناصر منها:

أ. **الشخصيات:** تعتبر الشخصية المحرّك الأساسي لأي عمل أدبي فنّي والذي يتمحور حوله الخطاب الأدبي.

ب. **الحبكة:** وهو سري أحداث بالشكل المتعارف عليها من البدايات الطبيعية.

ج. **الموضوع:** هو الوعظ أو القيمة التي يتأسس عليها مضمون الرواية بأكملها.

[1] – الرواية العربية، حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، ص 59.

[2] – فاروق خورشيد، الرواية العربية وعصر التجميع، القاهرة، ط 2، 2002، ص 11- 31.

د. **الزمان والمكان:** الزمان هو الذي تدور فيه أحداث الرواية، أما المكان هو الإطار الذي تدور فيه الأحداث وتتحرّك فيه الشخصيات.

لعلّ معرفة المصطلح وحدوده أهم المفاتيح لأي علم من العلوم، فالمصطلح النقدي قاعدة جوهرية في بناء نقد أدبي، فتعدّدت مفاهيم التناص، والتناص مصطلح نقدي أُطلق حديثا، حدّده الباحثون كثيرون من نقاد الغرب والعرب في العصر الحديث، بالنسبة لنقاد الغرب اعتمدنا على الناقدة الغربية "جوليا كريستيفا"، و"رولان بارت"، كما اعتمدنا على تعريفات بعض نقاد العرب من بينهم "محمد مفتاح"، و"سعيد يقطين" و"عبد المالك مرتاض"، وكذلك بعض المعاجم، من بينهم معجم العين ولسان العرب، وتاج العروس، لذلك سيكون عملنا الأول في الفصل الأول تحديد مصطلح التناص وتعريفه لغة واصطلاحا، مع تحديد أنواعه وأهدافه وذكر بعض المصطلحات القريبة منه.

الفصل الأول:
التناص القرآني

المبحث الأول: تعريف التناص أنواعه وأهدافه

تتبعنا المعنى نَصَصَ ومشتقاتها في لسان العرب وغيره من المعاجم العربية القديمة والحديثة، وسنذكر بعض الأنواع والاهداف للتناص.

1. تعريف التناص لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور:

«النَصُ والنَصِيصُ: السير الشديد والحِث، ولهذا قيل نصصت الشيء رَفَعْتُهُ»، لم تتناول المعاجم العربية مفهوم التناص كمصطلح نقدي له أصوله ومدلوله المرتبط بالأدب والنقد، ولعل إسناد الحديث رفعة إلى فلان[1].

أ. التناص في النقد العربي الحديث:

والآن الموضوع هنا يدور حول التناص في النقد العربي الحديث عند مجموعة من النقاد.

* التناص عند سعيد يقطين[2]:

التناص عند "سعيد يقطين" مصطلح التفاعل على مصطلح التناص، وذلك لأنّ استعمال التفاعل النصي، فبما أنّ النص ينتج ضمن بنية نصية سابقة فهو يتعالق بها ويتفاعل معها تحويلا أو تضمنا، ومن خلال هذا الرأي أن سعيد يقطين قد أثر استعمال مصطلح التفاعل النصي على استعمال التناص وذلك لأن هذا المصطلح أشمل وأعم من مصطلح التناص.

[1] – ابن منظور، لسان العرب، 2004، ص 28.

[2] – سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي النص والسياق المركز الثقافي العربي.

* **التناص عند محمد مفتاح:**

إذا كان سعيد يقطين قد صبّ اهتمامه في دراسة التناص على الرواية فإنّ "محمد مفتاح" قد اهتم بمجال الشعر، يقول: «ترددنا بين أمرين ممكنين العكوف على ما كتبته مدرسة واحدة لفهم مبادئها العامة».

* **التناص عند عبد المالك مرتاض:**

يرى بأنّ «النص عبارة عن استبدال للنصوص أي التناص، ذلك بأنّ في حيز النص مجموعة من العبارات، والتناص عند عبد المالك مرتاض هو حوارية النصوص الأدبية ليست إلا تناص النصوص، وذلك أمران لا مناص منهما في تكون النص النص وكينونته معا»[1].

نلاحظ أنّ نظرية التناص قد تعدّدت مفاهيمها من ناقد إلى آخر، وبهذا يمكن الإشارة إلى أهمية التناص وذكر أنواعه.

2. تعريف التناص اصطلاحا:

لقد تعددت التعاريف التي حاولت أن تعطي مفهوما للتناص وهنا نذكر التعريف الاصطلاحي للتناص عند نقاد الغرب.

ب.التناص في النقد الغربي الحديث:

* **التناص عند جوليا كريستيفا[2]:**

ظهر كمصطلح للمرة الأولى على يد جوليا عام 1966 في مجلة (تر. كل) فقد قدمت في هذا الصدد مساهماتها التي تميز بين ثلاثة أنماط من الربطات حيث تقول: «التناص هو تعالق نصوص مع نص بكيفيات مختلفة وهو فسيفساء مع نصوص أخرى أدمجت بتقنيات مختلفة».

[1] – عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2010، ص 278.

[2] – جوليا كريستيفا، 2007، ص 1- 56.

* **التناص عند رولان بارت:**

أسهم في تطوير مصطلح التناص وكشف خباياه، حيث يرى أنّ كل نص هو نسيج من الاقتباسات والمرجعيات والأصداء فقال رولان بارت: «**أنّ النص نشأ عن رصف كلمات تولد معنى وحيدا، وإنما هو فضاء متعدد الأبعاد، تتمازج فيه كتابات متعددة وتتعارض من غير أن يكون فيها أكثر من غير أصالة**»[1].

* **التناص عند ميخائيل باختين:**

يعتبر باختين هو أول من أشار إلى الخاصية الحوارية للنص الأدبي، ويرى باختين أن التناص هو نوع خاص من العلاقة الدلالة ندعوها علاقة حوارية.

ثانيا- نشأة التناص وتطوّره:

ظهر مصطلح التناص على يد "جوليا كريستيفا" في عام 1966- 1967 كما أنّ كريستيفا لم تأت بهذا المصطلح من العدم، بل أنها اعتمدت على من سبقها من الباحثين[2]، ونجد كذلك من بين أهم هذه الاجتهادات التي أغنت تعاملنا مع النص الأدبي، فطوّرت المفاهيم المتصلة بالعلاقات النصية، دراسة جيرار جنيت قول ما يسميه بـــ"المتعاليات النصّية"، لقد استعمل جنيت هذا المفهوم ليحل محل التناص، وأصبح التناص عنده ظاهرة نقدية جديرة بالاهتمام والدراسة وتظافرت جهود النقاد مع كريستيفا في انتشار هذا المصطلح ويزداد وضوحا مع رولان بارت، الذي أسهم في تطوير مصطلح التناص وكشف خباياه، حيث يرى أنّ كل نص هو نسيج من الاقتباسات والمرجعيات والأصداء ومن هنا ننطلق –التناص عند النقاد العرب-

[1] – رولان بارت، درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، تقديم عبد الفتاح، الدار البيضاء، 1986، ص 67.

[2] – ينظر إلى: اكتساب التناص في شعر نزار القباني لعيسى بن سعيد الحوقاني، ص 10.

كما اعتبره محمد مفتاح[1] هو عملية استبدال نصوص أخرى ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عدّة مأخوذة من نصوص أخرى.

[1] – يحي بن مخلوف، التناص، مقاربة معرفية في ماهيته وأنواعه وأنماطه، دار قاله، ص 37.

المبحث الثاني: المصطلحات القريبة من التناص "الاقتباس- التضمين- الاستشهاد- السرقات الأدبية":

سنتعرف في هذا الجزء من المرادفات القريبة من التناص وذكر بعض النماذج:

1. تعريف الاقتباس لغة واصطلاحا:

أ. تعريف الاقتباس لغة:

وردت كلمة الاقتباس بدلالات لغوية متشابهة في الكثير من المعاجم فسنجد أن اللّفظة من "القبس"[1] الشعلة من النار، يقول الله تعالى: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ (سورة النمل، الآية 7). القبس: الجذوة وهي النار تأخذها في طرف العود.

ب.تعريف الاقتباس اصطلاحا:

لم يتخذ الاقتباس وجها اصطلاحيا واحد بل ورد بأكثر من رؤية اصطلاحية وهناك من عرفه قديما، تجلى في أنه «تضمين الكلام شيئا من القرآن الكريم والحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما»[2]، ويتوافق هذا المفهوم مع ما جاء به "الخطيب القزويني" في قوله: «بأن الاقتباس هو تضمين الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه»، وقد عرّفه "السّيوطي في الإتقان" يقول: "هو تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه بالإيقال فيه".

ومن شواهد الاقتباس من القرآن الكريم يقول أبي القاسم بن الحسين الكاتبي:

إنْ كنتَ أَزْمَعْتَ على هَجْرِنا *** من غيرِ ما جُرْمٍ فصَبْرٌ جَميلْ**

وإنْ تَبَــدَّلْتَ بنـــــــا غيرَنا *** فَحَسْبُنا اللهُ ونِعْم الوَكيلْ** [3]

[1] – ينظر: إلى أبي الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الإفريقي، ص 167.

[2] – ينظر إلى كتاب عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الاقتباس أنواعه وأحكامه، ص 15.

[3] – ينظر إلى: كتاب الاقتباس أنواعه وأحكامه، ص 10.

فالشاعر هنا مقتبس من آيتين هما قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف، الآية 17).

نستنتج في الأخير أنّ الاقتباس اختلفت الآراء حوله بين النقاد العرب.

2. تعريف التضمين لغة واصطلاحا:

أ. تعريف التضمين لغة:

ورد التضمين في المعاجم العربية القديمة منها والحديثة مادة "ض. م. ن" إذ حاول أصحاب هذه المعاجم جمع كل ما يتعلق بالمادة من معان وصيغ مختلفة.

ما ورد في لسان العرب (لابن منظور/ 711هـ) في مادة (ض، م، ن) ضمن الشيء: الشيء أودعه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر. «وقال ابن منظور[1] الرقاع يصف ناقة حامل:

أَوْكَتَت عَلَيهِ مُضيقًا من عَوَاهِنُها ***** كَمَا كَشَخَ الحُرَةِ الجبة»

ب.تعريف التضمين اصطلاحا:

إنّ التعريف اللغوي لتضمين يعدّ قاعدة أساسية وينطلق منها التعريف الاصطلاحي، قال ابن جني في كتابه عن التضمين «أعلم أن الفعل إذا كان عن فعل آخر وكان أحدهما يتحدى بحرف والآخر بآخر. فإنّ العرب، قد تتسع فتوقع أحد الحرفين جيء معه بالحرف المعتاد وذلك في قوله عزّ وجل، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ (البقرة: 187).

[1] – ينظر إلى: ابن منظور، لسان العرب، ص 258- 259.

أنموذجا:

لعل أننا نستطيع أن نستشف من الأمثلة التي أوردها التضمين ويقصد به آخذ شاعر من شاعر آخر بيتا أو دوّنه وتضمينه في شعره، ومن ذلك[1]:

قول الأخطل:

ولَقَد سَمَا لِلخُرْمِي فَلَمْ يَقُل ***** بَعْد الوَغَى لَكِنَه تَضَايَق مُقَدِمي

أخذه من قول عنترة:

إذ يتقون بي الأسنة لم أخم عنها ولكني تضايق مقدمي.

يبدو أنّ التضمين قد اتسع نطاقه، فقد حرص علماء النقد على تحديده.

➢ **تعريف الاستشهاد لغة:**

يقول ابن منظور: «الشاهد، العالم الذي يُبين ما علمه واستشهد، نسأله الشهادة»[2]، وفي التنزيل: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ﴾ (البقرة، 282)

وشَهَدَ الشَاهِدُ عند الحاكم أي بيَّنَ ما يَعْلَمُهُ وأظْهَرهُ، يدلّ على قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾. (سورة التوبة: 17)

➢ **تعريف الاستشهاد اصطلاحا:**

فهو شاهد الحق وهو الدليل الذي يعتمد عليه في الأخذ بقاعدة ما يقول أبو المكارم: «الاستشهاد ذكر الأدلة النصية المؤكدة للقاعدة النحوية، فالاستشهاد هو التوظيف اللغوي لمجموعة من الأقوال التي بلغت مستوى عال من الفصاحة».

[1] – ينظر إلى: كتاب التضمين في العربية، لأحمد حسن حامد، ص 17.

[2] – معجم مقاييس اللغة، ص 221.

➢ أنموذجا-

وقد جاء الوجهان في القرآن الكريم، فمما أتت فيه الفعل قول الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (النساء: 153)، ومما حذفت منه علامة التأنيث[1] قول الله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ (البقرة: 275).

فالاستشهاد هو توظيف اللغوي لمجموعة من الأقوال التي بلغت مستوى عال من الفصاحة.

➢ **تعريف السرقة الأدبية لغة:**

تعرف السرقة في اللغة: سُرِقَ منه الشيء يُسرق سَرْقًا وسَرِقَةً، أَخَذَ مَالُهُ خفية.

وقد أستعير المعنى الاصطلاحي من المعنى اللغوي للكلمة.

➢ **تعريف السرقة الأدبية اصطلاحا:**

«الأخذ من كلام الغير، وأخذ بعض اللفظ سواءً، وهو أن يعمد الشاعر إلى أبيات شاعر آخر فيسرق معانيها وألفاظها وقد يسطو عليها لفظا ومعنى»[2].

وقال طرفة بن العبد:

ولا أغير على الأشعار أسرقها ****** غنيت عنها وشر الناس من سرق

➢ **أنموذجا-**

أوّل من ذم السرقة من الشعراء طرفة من العبد الله في قوله:

ولا أغير على الأشعار أسرقها ****** غنيت عنها وشر الناس من سرق

[1] – ينظر: الحديثي خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، العراق، 1981.

[2] – ينظر إلى: كتاب السرقات الأدبية، الدكتور بدوي طبان.

فعارضه فيها أبو أحمد عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر بقصيدة يمدح الموفق أولها:

أجدّ هذا المقام أم لَعِبُة ****** أم صِدق ما قيل فيه أم كِذبة

نستنتج في الأخير، هناك من مدح السرقات الأدبية وهناك من ذم السرقات الأدبية.

المبحث الثالث: أنواع التناص:

الاعتبار الأول:

يقدّم جينيت جردا، صنّف من خلاله أنواع التناص.

1- **الجامع النصي:** هناك ما يسميه، كما سبق (Architexte) أن الجامع النصي بالمفهوم السابق، والنصوص الشاملة التي تعادل مفهوم الأدبية لدى الشكلانيين الروسيين ويمكن تفسير هذه العودة الشاملة التي تعادل مفهوم الأدبية لدى الشكلانيين الروس ويمكن تفسير هذه العودة التاريخية إلى ما في الشعرية[1].

2- **التعالي النصي أو ما بعد النصية:** وأما ما أطلق عليه "التعالي النصي" فيهدف من وراء إطلاقه البحث عن علاقة التقاطع والتداخل بين النصوص لكن بعض الدارسين قد يطلق على المصطلح السابق "التعالي النصي".

3- **مفاهيم فرعية للتناص:** وقيل التصريح على النوع الثاني من التناص الذي يعدّه جنيت أقل بروزا والمسمى لديه "النظير النصي".

4- **السياقات الثقافية المتناصة:** وترى بعض الدراسات أنّ ما يخطر على البال في وضعه المكتوب تهكّم أو محاكاة ساخرة مختلفة عمّا يخطر على سبيل المعارضة.

كما قدّم جينيت نوعين آخرين من التناص.

الاعتبار الثاني:

- **النوع الأول: التناص الداخلي:** هو الذي يقوم المبدع فيه بإعادة إنتاجه ويتم ذلك بامتصاص آثاره السابقة أو يتجاوزها.

[1] – ينظر إلى: عبد المالك مرتاض، التناص، ص 67- 68- 69- 70.

- **النوع الثاني: التناص الخارجي:** يحصل التناص من خلال التقاء النص الحاضر وتقاطعه وهو نصوص أخرى فيتجاوزها مع غيره النصوص السابقة[1].

وفي الأخير نستنتج أنّ جينيت قدّم لنا عدّة أنواع للتناص، وكيفية ارتباطهم مع البعض وهي الجامع النصي والتعال النصي.

[1] – تميم البرغوتي، جمالية التناص، ص 30.

المبحث الرابع: أهداف التناص:

الهدف الأول: إثراء المعنى وتوسيع الدلالة

* يضيف التناص على النص الأدبي بعدًا دلاليا.
* يوسع الأفق الدلالي للنص[1].
* يثري عملية التأويل.

الهدف الثاني: بناء النص حواري متعدد الأصوات

* ينفتح النص على تعدد الأصوات والثقافات.
* يعبر عن رؤية الكاتب للعالم بوصفه فضاءا حواريا متداخلا.

الهدف الثالث: تفكيك الخطاب المهين

* يستخدم التناص بطريقة الناقد لتفكيك النصوص.
* توظيف النص في سياق جديد.

الهدف الرابع: إعادة الاعتبار للهامشي والمقصي

* يوظف التناص أحيانا الاستدعاء لأصوات أو شخصيات.
* تجاهل وتغييب في المتن الثقافي.

الهدف الخامس: الوعي الثقافي والمعرفي للكاتب

* استحضار نصوص أدبية أو دينية أو تاريخية أو فلسفية.
* يوظّف هذه المرجعيات لتدعيم رؤيته الخاصة داخل العمل الأدبي.

[1] – ينظر إلى: كتاب عبد الحق بلعابد، من النص إلى النص المترابط، ص 121.

الهدف السادس: إثراء الجانب الجمالي والفني

* يسهم التناص في إفضاء بُعد جمالي على النص من خلال اللعب باللّغة.
* استدعاء الأساليب والصور البلاغية من نصوص أخرى[1].

التناص يساعدنا في حفظ نصوصنا من استغلالاتها المغلوطة، وهذه الأهداف لها دور كبير جدا في تطوير النظر إليه وإلى أهمّ خصوصياته.

[1] – ينظر إلى: كتاب عبد الحق بلعابد، من النص إلى النص المترابط، ص 122.

خلاصة الفصل:

وبعد أن تناولنا في الفصل الأول مفهوم التناص وأنواعه وأهدافه وتتبعنا جذوره في النقد العربي والنقد الغربي، وذكرنا بعض المصطلحات القريبة منه ثم ننتقل في الفصل الثاني إلى الجانب التطبيقي "التناص القرآني في رواية عائد إلى حيفا" لغسان الكنفاني حيث نعرض أنواع التناص القرآني في الرواية مع نماذج.

الفصل الثاني:
التناص القرآني في رواية "عائد إلى حيفا"

التناص القرآني بمفهومه العام دخل في مجالات الحياة الاجتماعية وكافة العلوم الإنسانية من فلسفة وتاريخ وآداب ... وبمفهومه الخاص الذي يكمن في الأعمال الأدبية النثرية والشعرية، والقرآن الكريم دخل في الأعمال الأدبية وقد استخدمه الأدباء والشعراء في أعمالهم فإن استخدم الأديب نص الآية فهذا تناص خارجي وإن استخدم مفهومها فهذا يعتبر تناصا داخليا وهو يقوم على استحضار نص الآية أو مفهومها «فالتناص بالقرآن له هدف أدبي جمالي حيث إنّ أسلوب القرآن هو الأسلوب الأمثل للغة العربية واتخاذ بعض صوره وأساليبه نموذجا للصياغة الأدبية»[1].

فمفهوم التناص القرآني يظهر من التدقيق في العمل الأدبي وإظهار هذا التراث الإسلامي حيث يستخدم الأديب التناص القرآني مستفيدا من جمال آياته وصياغته في عمله الأدبي واتخاذ العبرة من القرآن والاستشهاد به ولو بكلمة واحدة يعطي للنص الأدبي رونقا جميلا.

وسنتطرق في هذا الفصل إلى الجانب التطبيقي والذي سنركز فيه على دراسة التناص القرآني في رواية "عائد إل حيفا" والمنهج الذي سنسير عليه في هذا الجانب التطبيقي أننا سنبدأ باستخراج مفردات وجمل ومعاني قرآنية من الرواية، على النحو التالي:

أولا: التناص بالمفردات القرآنية

ثانيا: التناص بالعبارات القرآنية

ثالثا: التناص مع القصص القرآني

رابعا: التناص بالمعاني القرآنية

[1] – الآفاق الحضارية الإسلامية، السنة الثالثة عشر، العدد الثاني، خريف وشتاء.

المبحث الأول: التناص بالمفردات القرآنية:

أكثر الروائي من المفردات القرآنية في الرواية، وسنركز على بعض النماذج من بينها:

* **النموذج الأول: "الشمس"**

1- وردت هذه المفردة في قوله: «كانت الحقول تتسرب تحت نظره عبر زجاج سيّارته، وكان الحرّ لا يطاق، فقد أحسن بجبهته تلتهب تماما كما كان الأسفلت يشتعل تحت عجلات سيارته، وفوقه كانت الشمس، شمس حزيران، الرهيب تصب قار غضبها على الأرض»[1].

2- ولعل الروائي أخذها تناصا من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 258 من سورة البقرة].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الآية 78 من سورة الأنعام].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الآية 2 من سورة الرعد].

[1] – الرواية، ص 5.

3- يصف لنا غسان الكنفاني حالة سعيد، عندما غادر رام الله، ويصف الشمس بشمس حزيران الرهيب، وهذا يزيد نصّه جمالا وقوة.

* **النموذج الثاني: "مرّج"**

1- وردت هذه المفردة في قول تناصي من رواية "عائد إلى حيفا": «كانت سيارة الفيات الرمادية التي تحمل رقما أردنيا أبيض تشق طريقها نحو الشمال عبر المرج الذي كان اسمه مرج بن عامر قبل عشرين سنة»[1].

2- فأخذها غسان كنفاني تناصا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الآية 53 من سورة الفرقان].

3- يشير الروائي بمفردة "مرج" إلى الأرض التي تحتضن الذكريات أو المآسي أو العودة إلى جذور الأرض، وهكذا في رواية "عائد إلى حيفا" الذي تعامل مع موضوع العودة إلى الوطن، وهي من قبيل التناص بالمفردة القرآنية والتي تدل على تأثر الكاتب ببعض الألفاظ القرآنية.

* **النموذج الثالث: "مفردة الجبار"**

1- وردت هذه المفردة في قول الروائي الكنفاني من الرواية: «وهم يندفعون في شتى أرجاء المدينة في سيلهم العرم الجبار الذي لا يمكن ردّه، كأنها محمولة على نهر متدفق مثل عود من القش»[2].

[1] – الرواية، ص 6.

[2] – الرواية، ص .

2- فأخذها الكاتب تناصا من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 23 من سورة الحشر]

3- لعل غسان الكنفاني استخدم مفردة الجبار" إلى إشارة المعاني التي تتعلق بالقوة والتحدي، وهي من قبيل التناص بالمفردة القرآنية التي تدل على قوة وشجاعة الكاتب.

*** النموذج الرابع "ذنب"**

1- وردت هذه المفردة في رواية "عائد إلى حيفا": «كان رأسها يتكئ على صدرها كمن يريد أن يعترف بذنب غير متوقع»[1].

2- قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ﴾ [الآية 29 من سورة يوسف].

﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الآية 14 من سورة الشعراء].

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 3 من سورة غافر].

3- استخدم الكاتب مفردة ذنب وهي من قبيل التناص بالمفردة القرآنية التي تعبر على الندم والخسارة وقصة عائلة فلسطينية التي فقدت مترلها وفقدانهم للوطن والأرض.

*** النموذج الخامس: "مكان"**

1- وردت هذه الكلمة في قول الكاتب الكنفاني «قبل أسبوع قالت له صفية، وهما في مترلهما في رام الله: إنهم يذهبون إلى كل مكان، ألا نذهب إلى حيفا»[2].

[1] – الرواية، ص 21.

[2] – الرواية، ص 21.

2- فاعتبرهما الروائي تناصا من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية 20 من سورة النساء].

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 135 من سورة الأنعام].

3- استخدم الروائي مفردة مكان وهي من قبيل التناص بالمفردة القرآنية، تشير كلمة "مكان" إلى الأرض الفلسطينية الحبية ورمزا للذكريات والتاريخ والثقافة، وهذا ما يزيد نصه إبداعا وجمالا.

*** النموذج السادس: "قوة"**

1- وردت هذه الكلمة في قول الروائي: «لكنها تعرف أن قوة لا تصدق سمرها في الارض»[1].

2- فأخذها غسان الكنفاني تناصا من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [الآية 143 من سورة آل عمران].

﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الآية 5 من سورة النساء].

3- استخدم الروائي مفردة قوة رمزا إلى قوة الشعب الفلسطيني وإيمانهم وهي من قبيل التناص بالمفردة القرآنية وهذا التناص يزيد جمالا في الرواية.

[1] – الرواية، ص 17.

* **النموذج السابع: "البحر"**

1- وردت هذه المفردة في الرواية "عائد إلى حيفا": «حين كان هو أقرب ما يكون إلى البحر وكانت هي أقرب ما تكون إلى الجبل»[1].

2- فأخذها الكنفاني تناصا من قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 21 من سورة الحشر].

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [الآية 43 من سورة هود].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 184 من سورة الشعراء].

3- استخدم غسان الكنفاني مفردة جبل في الرواية وهي من قبيل التناص بالمفردات يرمز إلى ثبات الهوية الفلسطينية وهذا نوع من التناص يشكل قوة وجاذبية للوطن.

* **النموذج الثامن: "سبيل"**

1- وردت هذه المفردة في الرواية "عائد إلى حيفا": «يبدو لي أن يكون الإنسان مع رفيق له حمل السلاح ومات في سبيل الوطن شيئا ثمينا لا يمكن الاستغناء عنه»[2].

2- وأخذها الكنفاني تناصا من قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 108 من سورة البقرة].

[1] – الرواية، ص 20.

[2] – الرواية، ص 38.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [الآية 154 من سورة البقرة]

3- استخدم الروائي كلمة "سبيل" التي هي نوع من أنواع التناص بالمفردات أخذها تناصا ترمز إلى التجربة الإنسانية والصراعات التي يواجهها الأفراد الفلسطينيون وهذا ما يزيد جمالا واتساقا للنص.

* **النموذج التاسع: "الأرض"**[1]

1- وردت هذه المفردة في قول الرواية: «.. وكانت على وشك .. ينبثق من الأرض ...»[2].

2- فأخذها كنفاني تناصا من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [الآية 11 من سورة البقرة].

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 22 من سورة البقرة].

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 27 من سورة البقرة].

3- استخدم الروائي كلمة "الأرض" التي هي نوع من أنواع التناص بالمفردات وأخذها تناص يرمز إلى الوطن والعودة وهذا ما يزيد النص جمالا وإبداعا.

[1] – الرواية عائد إلى حيفا، ص 18.

[2] – الرواية عائد إلى حيفا، ص 18.

* **النموذج العاشر "الفرار"**[1]

1- وردت هذه المفردة في قول كنفاني: «... وذلك البنا يعد –يوم الفرار– تمترس مقاتلون العرب ...»[2].

2- وأخذها تناصا من قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 16 من سورة الأحزاب].

3- استخدم غسان كلمة الفرار وهي من قبيل التناص بالمفردات يرمز يوم الفرار على الهروب أثناء نكبة 1948 وهذا يزيد نصه قوة وجمالا.

[1] – الرواية عائد إلى حيفا، ص 18.

[2] – الرواية عائد إلى حيفا، ص 18.

المبحث الثاني: العبارات القرآنية:

نجد الكاتب والروائي كنفاني اعتمد التناص بالعبارات القرآنية في روايته.

ومن النماذج التي وجدناها في هذه الرواية ما يلي:

- **النموذج الأول: "بعضه فوق بعض"**

1- النص من الرواية: «... كما يتساقط جدران من الحجارة ... فوق بعض»[1].

2- سورة النور، الآية 40: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

3- توحي إلى الانهيار والفوضى وتراكمات الأحداث السلبية وتعقيدات العلاقات الإنسانية، مما يعكس حالة الاضطراب والصراع التي تعاني منها الشخصيات في الرواية وعبارة بعضه فوق بعض من باب التناص بالعبارات.

- **النموذج الثاني: "على الأرض"**

1- «... شمس حزيران الرهيب تصب قار غضبها على الأرض ...»[2].

2- في القرآن الكريم وردت هذه العبارة في عدّة سور من بينها سورة الحج، الآية 65: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ الفرقان: 63.

[1] – رواية عائد إلى حيفا، ص 5.

[2] – رواية عائد إلى حيفا، ص 6.

3- لا ترمز إلى الوطن والانتماء حيث أنّ الأرض تمثل موضوع الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين وترمز للذكريات والتجارب التي عاشها الشخص على أرض معينة.

- **النموذج الثالث: "راودته"**

1- «وللحظة ... راودته فكرة أن يرجع ...»[1].

2- وردت في عدّة مواضع من سورة يوسف مثل الآية 23: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

والآية 32: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

3- هذا التناص يضفي على النص بعدا نفسيا وروحيا ويعكس الصراع الداخلي للشخصية حيث يستخدم كنفاني الكلمة لإبراز لحظة تردد وألم مرتبطة بالهوية والذاكرة.

- **النموذج الرابع: "إنّ الإنسان"**

1- «... ذلك شيء مؤكد ... إن الإنسان ...»[2].

2- وردت في القرآن فيما يلي:

[1] – رواية عائد إلى حيفا، ص 5.

[2] – رواية عائد إلى حيفا، ص 67.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم: 34.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ الحج: 66.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ المعارج: 19.

3- يستدعي كنفاني هذا التناص ليعبر عن ضياع الإنسان الفلسطيني ومعاناته، وهي تزيد المعنى وضوحا وقوة.

- **النموذج الخامس: "كل مكان"**

1- «... إنهم يذهبون ... كل مكان، ... حيفا؟»[1].

2- قال تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ سورة إبراهيم: 17.

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ النحل: 112.

3- أكثر الروائي من العبارة "كل مكان" كرمز شامل للحق والهوية والرّواية توظف هذا التناص لتظهر أنّ الوطن والحق موجودان في كل مكان.

- **النموذج السادس: "لا ريب"**

1- «... وكانت عياناها ... لا ريب ... اليوم ذاته ...»[2].

[1] – رواية عائد إلى حيفا، ص 21.

[2] – رواية عائد إلى حيفا، ص 16.

2- لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ البقرة: 2.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ سورة آل عمران: 9.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ النساء: 87.

3- يستخدم الروائي عبارة "لا ريب" ليؤكد على حتمية العودة أو وضوح الرؤية السياسية والوطنية مما يضفي تناصا قرآنيا في مزج التعبير قوة دلالية وإيمانية عميقة.

- **النموذج السابع: "إلى المدينة"**

1- «... المهم أنني حين عدت ... إلى المدينة المهجورة ...»[1].

2- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ سورة الكهف: 19.

وقوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ المنافقون: 8.

3- التناص هنا يعكس الصراع الفلسطيني المستمر من أجل العودة الحق والمقاومة ومواجهة الصهاينة.

[1] – رواية عائد إلى حيفا، ص 57.

- **النموذج الثامن: "في سبيل"**

1- «يبدو لي أن يكون ... ومات في سبيل الوطن ...»[1].

2- قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ سورة البقرة: 244.

وقوله في سورة البقرة، الآية 154: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ البقرة 218.

3- هنا يوجد تناص مقلوب يعبر عن قلب الحقائق ويثير التساؤلات عن الهوية والانتماء.

- **النموذج التاسع: "أن تدرك"**

1- «... ولكن عليك أن تدرك ... كما ينبغي ...»[2].

2- وردت هذه العبارة في سورة يس الآية 40: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾.

3- التناص هنا يمنح العبارة ثقلا معرفيا وروحيا ويتماشى مع أسلوب كنفاني في تضمين بعد قرآني ضمن سردية وطنية مقاومة.

- **النموذج العاشر: "لا يزال"**

1- «... وكان دوف لا يزال ... الباب قال ...»[3].

[1] – رواية عائد إلى حيفا، ص 58.

[2] – رواية عائد إلى حيفا، ص 76.

[3] – رواية عائد إلى حيفا، ص 78.

2- قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: 110.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ الرعد: 31.

وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ الحج: 55.

3- التناص هنا يعمّق الشعور بالانكسار والذّهول أمام الفقد كما في المواقف القرآنية التي تصور الصدمة أمام الحقيقة أو المصير.

- **النموذج الحادي عشر: "ذلك الأمر"**

1- النص من الرواية «... وقد جعله ذلك الأمر ... يجري حقا»[1]

2- وردت في سورة الحجر الآية 66 لقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾.

3- التناص هنا يبرز فكرة أنّ الإنسان قد يحتفظ بحقائق ناقصة أو غامضة تماما كما يؤجل الوحي أو الأمر الإلهي للوقت المحدد مما يخلق توترا داخليا وشعورا باليقين.

[1] – رواية عائد إلى حيفا، ص 39.

المبحث الثالث: التناص مع قصص الأنبياء:

التناص مع القصص القرآني هناك ربط بين رواية عائد إلى حيفا وآيات من القرآن الكريم يظهر عمق الرؤية الإيمانية والوجدانية في الرواية سأستنبط مجموعة من الآيات التي تتقاطع في المعاني أو الرمزية.

1- قصة النبي إبراهيم عليه السلام:

حين أمر النبي إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل وذلك بأمر من الله عز وجل حيث كان في اختبار شديد من الله عز وجل كما أنّ إبراهيم واجه اختيارين وهما عاطفة الأبوة وطاعة ربه سبحانه عز وجل، وهنا يواجه سعيد اختبار بين الأبوة وواقع الاحتلال، ويضفي بعاطفته حين يدرك أن الابن الحقيقي هو الذي يختار قضيته.

الرسالة المشتركة في القصتين هي: أن الانتماء والمواقف أهم من رابطة الدم، وأن الإيمان الحقيقي يظهر في لحظة التضحية.

التناص هنا يبرز التضحية والفقد ولكن دون خلاص فيحول القصة من امتحان ديني إلى مأساة وطنية معاصرة.

2- التناص مع قصة النبي يوسف عليه السلام:

التناص القرآني في رواية عائد إلى حيفا يظهر في عدّة جوانب خاصة من خلال قصة يوسف التي ترمز للفقدان والهوية والعودة.

- في الرواية يمثل مصطفى سعيد الذي فقد طفله حيث يواجه صعوبة في التعرف على عائلته المفقودة وإعادة الاتصال بهم.

باختصار يصف كنفاني قصة يوسف لإثراء الرواية بالمعاني العميقة حول الصراع والتهجير. وهناك ربط بين الرواية وعودة يوسف عليه السلام عندما عاد سعيد وصفية إلى بيتهما.

كانت العودة مؤلمة ومحملة بالأسى لقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾[1]. تشير إلى فقد الأرض والمكان لصالح غرباء هنا إشارة كذلك للعودة إلى الديار كعودة يوسف إلى يعقوب إليه السلام.

- وكذا رمزية الضياع والفقد مثل ضياع يوسف وافتقاده من طرف والده، حيث أن سعيد وصفية فقدا ابنهما خالد وهذا يتقاطع مع شعور الفقد والاختبار ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

- وكذا تبدل الهوية وفقدان الابن مثل يعقوب الذي فقد يوسف كذلك بالنسبة لخلدون الذي أصبح "دوف" جنديا في الجيش الإسرائيلي يرمز لفقدان الهوية. ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[4] ومنها إشارة لقصة يوسف.

- وعندما وردت هذه النص في الرواية:

«إن كل الأبواب يجب ألا نفتح إلا من جهة واحدة وإنها إذا فتحت من الجهة الأخرى فيجب اعتبارها لا تزال مغلقة» في هذا النص يرجع بنا الكاتب إلى قصة يوسف عندما قال سيدنا

[1] - الدخان: 25- 28.

[2] - البقرة: 155.

[3] - يونس: 85.

[4] - الأنفال: 28.

يعقوب لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[1].

3- التناص مع قصة النبي موسى عليه السلام:

يظهر التناص في رواية عائد إلى حيفا في عدّة جوانب فمن خلال النص الآتي «كان يجب ألا نخرج من حيفا أما أنت فاذهب الآن ... هناك قضية أكبر من البيت» هنا دعوته لابنه خلدون للذهاب إلى المعركة.

ويظهر التناص القرآني في صورة دعوة للجهاد الحق والدعوة للثبات على الأرض ويشبه دعوة موسى لبني إسرائيل للقتال في الأرض المقدسة لقوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾[2]، الدعوة هنا ليست فقط لمواجهة الاحتلال بل للعودة إلى الوعي الحقيقي بالقصة وهو ما يضفي بعدا رسائليا على سلوك الشخصيات.

موسى مع فرعون:

حيث تربى وترعرع عند فرعون مثل الابن خلدون الذي ترعرع عند الصهاينة.

وقصته مع أمه التي تركت ابنها خائفة عليه بحيث وضعته في النهر لقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ

[1] - يوسف: 67.

[2] - المائدة 21.

إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]، تظهر لنا الآية أنّ أم موسى عند وضعها لابنها في النهر بأمر من الله عز وجل.

وكذا صفية تترك طفلها خالد أثناء النكبة فهي لم تلقيه في النهر وإنما تركته في الفوضى اضطرت أن تتركه فإذا بعائلة صهيونية قامت بتربيته.

موسى مع الخضر:

هذا نص من الرواية: «... وحين عبر الشارع ... انهار الجدار كله ...» وردت في عدة مواضع في الرواية حيث وردت هذه الكلمة التي ترجع بنا إلى الآية لقوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[2] في قصة النبي موسى والخضر والجدار كان ملكا ليتيمين في المدينة وكان تحت الجدار كتر لهما، وأراد الخضر إصلاحه ليحفظ الكتر حتى يبلغا أشدهما حيث يقول في الآية 82 من سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

الرواية تمثل واقعا مريرا ضاع فيه الكتر لأن أصحابه لم يصبروا و لم يحموا الجدار.

– ورد في الرواية: «إذا أردت أن تذهب خذني معك»، الآية التي تذكر ذلك هي: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا

[1] – القصص: 7.

[2] – الكهف: 77.

٦٧ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾[1]. موسى عليه السلام طلب من الخضر أن يرافقه ليتعلم منه وتعكس روح التعلم والتواضع لدى موسى عليه السلام.

4- التناص مع قصة النبي نوح:

تتجلى قصة النبي نوح عليه السلام من خلال الابن خلدون الذي ضاع وتربى في كنف الاحتلال، ورفض العودة لوالديه وأصله الفلسطيني، نفس الشيء بالنسبة لابن نوح الذي رفض ركوب السفينة وقال: «سآوي إلى جبل يحميني من الماء»، وغرق في الطوفان، يغرق خلدون رمزيا في هوية العدو، هنا تتجسد مأساة الفقد والاختبار والنجاة والضياع حيث يعبر كنفاني عن ضياع الهوية الفلسطينية وألم الاب الذي يرى ابنه يغرق في هوية الآخر ورفض النجاة مع أبيه.

5- التناص القرآني مع قصة النبي يونس عليه السلام:

وذلك من خلال رمزية العودة بعد الهروب ومواجهة الذات والقدر، فالنبي يونس، حين ترك قومه دون إذن من الله ابتلعه الحوت ولبث في ظلمات البحر حتى عاد تائبا إلى همته. مثل عودة سعيد في الرواية إلى حيفا بعد عقدين من الزمن من مغادرته، ليواجه نتائج هروبه من الواقع والاحتلال ويكتشف أن ابنه أصبح جزءا من "العدو" تشبه هذه العودة عودة يونس من بطن الحوت، حيث يجبر على مواجهو الألم والندم ولكن دون خلاص واضح، يعكس كنفاني من خلال هذا التناص أن الهروب لا يعفي من المسؤولية وأن المواجهة هي الطريق الوحيد نحو الفهم وربما الغفران.

6- التناص مع قصة النبي عيسى عليه السلام:

هناك تناص رمزي معكوس بين قصة ميريام اليهودية في "عائد إلى حيفا" وبين السيدة مريم في القرآن هذا التناص يعكس:

[1] - الكهف: 69.

- فقدان الهوية مقابل معجزة الميلاد.
- الاختبار الإلهي مقابل الاحتلال الثقافي.
- الأمومة الحقيقية مقابل الأمومة المصطنعة.
- الكلام المقدس مقابل الصمت المحايد.

يوجد تناص مضاد.

حيث في قصة مريم عيسى عليه السلام في المهد يتكلم ليبرئ أمه، أما خلدون لا يدافع عن أمه بل يعلن انتمائه للمكان الذي نشأ فيه.

في القرآن الكريم السيدة مريم تواجه قومها وتتهم من طرفهم، أما صفية الفلسطينية فتحرم من ابنها.

وبهذا فتح كنفاني بابا للتناص في حقل دلالي ديني عميق.

المبحث الرابع: التناص بالمعنى القرآني:

أ. حديث سعيد عن فقدان ابنه خلدون.

النص: «كان يجب ألا نخرج ... أن نبقى مهما كان الثمن ...»[1].

التحليل:

في هذا المقطع تستدعي مفاهيم قرآنية حول الابتلاء والثبات والمسؤولية الجماعية تتقاطع هذا مع قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، سعيد هنا يعترف بالتقصير كما يعترف المؤمن في القرآن حين يفوت واجبا، ويستبطن النص دعوة قرآنية ضمنية إلى الثبات في وجه الظلم وعدم الفرار من الأرض أو المعركة.

ب. لحظة رؤية خلدون وأصبح يهودي.

النص: «كان واقفا هناك شابّا يافعا يرتدي الزّي العسكري الإسرائيلي ... لم يتعرف علينا».

التحليل:

هذه اللحظة تشبه التحوّل المفاجئ في مصائر الشخصيات كما في القرآن حين يرى المرء نتيجة تقصيره في الدنيا وهي تشبيه بمشهد الوقوف يوم الحساب هذا التناص يشبه الآلهة: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦﴾[3]، التحول من الأبوة إلى الغربة

[1] – الرواية عائد إلى حيفا، لغسان كنفاني، ص .

[2] – آل عمران: 146.

[3] – عبس: 34- 36.

التامة فيه تمثيل لحالة الانفصام العقائدي والوطني وهو ما يربط النص بمفاهيم قرآنية حول الولاء والبلاء والانتماء الحق.

ج. عبارة «أكوام بشر تتساقط»[1] تعد تصويرا أدبيا ليوم القيامة وهي تعبر عن شدة الهول والفزع الذي يصيب الناس فيسقطون ويتساقطون من الخوف أو العذاب كما يصوره القرآن في عدّة مواضع منها: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[3]. فهذا تصوير بما يناسب مشاهد انهيار الجسد والنفس أمام أهوال يوم القيامة.

د. وكذا عبارة «سيول البشر تنقاد فهما وتدفعهما»[4] حيث تحمل تناصا قرآنيا غير مباشرا من خلال وصفها الجموع البشر في حالة فوضى، وهذا أخذني إلى مشهد الحشر إلى يوم القيامة لقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦﴾[5]. أي أنّ الناس تدفعهم الأحداث فسرا دون إرادة وتصوير مشهد من مشاهد الطوفان الجماعي أو الفرق لقوله تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ

[1] – رواية عائد إلى حيفا، ص .

[2] – الحج: 2.

[3] – القمر: 20.

[4] – رواية عائد إلى حيفا، ص .

[5] – عبس: 34- 36.

بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[1]. هنا الماء يحمل البشر دون سيطرة، كما يحملهم التيار في الرواية.

فرسم كنفاني نكبة الفلسطينيين بصورة تشبه يوم الحشر لا أحد يملك لنفسه شيء، تدفعه الجموع والأحداث كما تدفع السيول ما أمامها.

هذه الصورة تلامس التجربة القرآنية في هول، المصير الجماعي، وإن لم تكن الآيات مقتبسة حرفيا.

[1] – هود: 43.

خاتمة

خاتمة:

يظهر التناص القرآني في رواية "عائد من حيفا" كأداة فنية قوية تعزّز من عمق الرواية ودلالتها. مما انتهى بنا إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

1- الاتكاء الواضح لدى الروائي على النص الديني تم ذلك بعدّة طرق منها عتبة العنوان "عائد إلى حيفا" هنا يرمز للعودة مثل عودة يوسف ويونس.

2- ركز كنفاني على التناص بالمفردات أكثر من غيره من التناص.

3- هناك معاني جليلة من أحداث الرواية استنتجت فيها.

4- لقد تأثر كنفاني كثيرا بالقرآن الكريم خاصة من حيث المعنى فأورد العديد من قصص الأنبياء.

5- استدنى الكاتب الآيات القرآنية لخلق مقارنات بين الماضي والحاضر.

6- تعد هذه الرواية من أهم الأعمال الأدبية التي تتناول القضية الفلسطينية بعمق وشفافية.

وفي الأخير نتمنى أننا قد وفقنا في معالجة جانبا من هذا الموضوع وأعطينا صورة واضحة عن الروائي "غسان كنفاني" خاصة أنّ نصوصه تتميز بالكثافة التناصية لذلك تحتاج إلى ثقافة واسعة لمعرفتها وفهمها أكثر.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ سورة هود، الآية 88.

الملحق

مولد ونشأة الروائي غسان كنفاني:

هو كاتب وصحفي فلسطيني، يُعتبر واحدا من أبرز الأدباء العرب في القرن العشرين، وُلد في عكا بفلسطين، وعُرف بكتاباته التي تعبر عن الهم الفلسطيني والنضال من أجل حقوق الشعب الفلسطيني.

كتب الكنفاني العديد من الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات ومن أشهر أعماله "رجال في الشمس" و"ما تبقى لكم"، وكانت كتاباته تتسم بالعمق والنقد الاجتماعي وتعكس تجارب اللاجئين الفلسطينيين والمعاناة التي عاشها الشعب الفلسطيني بعد النكبة.

توفي الكنفاني في عام 1972 في بيروت جراء تفجير سيارة مفخخة مما أضفى على حياته وقيمته الأدبية طابعا مأساويا.

وتم إصدار مسلسل تلفزيوني عن الرواية يحكي قصة عائلة فلسطينية تقطن في حيفا وتواجه التهجير والتشرد جراء النكبة عام 1948 وشارك نخبة من الفنانين السوريين وكان وفيا إلى حد كبير للنص الأصلي.

إلى جانب المسلسل أنتجت عدة عروض مسرحية مبنية على الرواية في عدة بلدان مثل فلسطين وسوريا ولبنان والأردن وقدمت في أعمال إذاعية وتلفزيونية عديدة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر والمراجع:

1. غسان كنفاني، رواية عائد إلى حيفا، دار منشورات الرمال، قبرص، الطبعة الأولى، 2013.

2. أبي الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، 2004.

3. أحمد حسن حامد، التضمين في العربية.

4. أحمد منور، الرواية عائد إلى حيفا.

5. الآفاق الحضارية الإسلامية، السنة الثالثة عشر، العدد الثاني، خريف وشتاء.

6. بدوي طبان، السرقات الأدبية.

7. جوليا كريستيفا، 2007.

8. الحديثي خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، العراق، 1981.

9. حصة إبراهيم المنيف، الرواية العربية، المجلس الأعلى للثقافة.

10. رولان بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، تقديم عبد الفتاح، الدار البيضاء، 1986.

11. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي النص والسياق المركز الثقافي العربي.

12. عبد الحق بلعابد، من النص إلى النص المترابط.

13. عبد المالك مرتاض، التناص.

14. عبد المالك مرتاض، نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، دار النشر والتوزيع، 1997.

15. عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2010.

16. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الاقتباس أنواعه وأحكامه.

17. عمار بن زايد، الرواية العربية الجزائرية عند النقاد الاتجاه الواقعي، 2001- 2002.

18. عيسى بن سعيد الحوقاني، اكتساب التناص في شعر نزار القباني.

19. فاروق خورشيد، الرواية العربية وعصر التجميع، القاهرة، ط 2، 2002.

20. معجم مقاييس اللغة.

21. يحي بن مخلوف، التناص، مقاربة معرفية في ماهيته وأنواعه وأنماطه، دار قاله.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	
المحتوى	**الصفحة**
شكر وتقدير	
إهداء	
مقدمة	أ
مدخل	1
الفصل الأول: ماهية التناص	
المبحث الأول: النشأة والتطوّر	5
المبحث الثاني: المصطلحات القريبة منه	9
المبحث الثالث: أنواع التناص	14
المبحث الرابع: أهداف التناص	16
الفصل الثاني: التناص القرآني في رواية "عائد إلى حيفا"	
المبحث الأول: التناص بالمفردات القرآنية	21
المبحث الثاني: التناص بالعبارات القرآنية	28
المبحث الثالث: التناص بالقصص القرآنية	34
المبحث الرابع: التناص بالمعنى القرآني	40
خاتمة	44
الملحق	46
قائمة المصادر والمراجع	48
الفهرس	51
ملخص	

ملخص:

التناص ظاهرة أدبية نالت اهتمام الباحثين من بينهم الباحثة جوليا كريستيفا فهذا المصطلح يعد وسيلة هامة وضرورية في الكشف عن النصوص المتداخلة في النص الواحد.

يقوم هذا البحث على دراسة التناص القرآني في رواية "عائد إلى حيفا" لغسان الكنفاني وقد اشتمل على مقدمة وفصلين وخاتمة.

كما تناول تعريف التناص، ونشأته عند العرب والغرب وأنواعه وأهميته.

الكلمات المفتاحية: التناص- القرآن- الاقتباس- التضمين- الاستشهاد.

ملخص:

التناص ظاهرة أدبية نالت اهتمام الباحثين من بينهم الباحثة جوليا كريستيفا فهذا المصطلح يعد وسيلة هامة وضرورية في الكشف عن النصوص المتداخلة في النص الواحد.

يقوم هذا البحث على دراسة التناص القرآني في رواية "عائد إلى حيفا" لغسان الكنفاني وقد اشتمل على مقدمة وفصلين وخاتمة.

كما تناول تعريف التناص، ونشأته عند العرب والغرب وأنواعه وأهميته.

الكلمات المفتاحية: التناص- القرآن- الاقتباس- التضمين- الاستشهاد.

Abstract:

Intertextuality is a literary phenomenon that has attracted the attention of researchers, including Julia Kristeva. This term is an important and necessary means of uncovering overlapping texts within a single text.

This research examines Quranic intertextuality in Ghassan Kanafani's novel "Returning to Haifa." It includes an introduction, two chapters, and a conclusion.

It also addresses the definition of intertextuality, its origins among Arabs and the West, its types, and its importance.

Keywords: Intertextuality, Quran, quotation, inclusion, citation.

Résumé :

L'intertextualité est un phénomène littéraire qui a retenu l'attention de chercheurs, dont Julia Kristeva. Ce terme est un moyen important et nécessaire de révéler des textes qui se chevauchent au sein d'un même texte.

Cette recherche examine l'intertextualité coranique dans le roman « Retour à Haïfa » de Ghassan Kanafani. Elle comprend une introduction, deux chapitres et une conclusion.

Elle aborde également la définition de l'intertextualité, ses origines chez les Arabes et en Occident, ses types et son importance.

Mots-clés : Intertextualité, Coran, citation, inclusion, citation.